مؤسسة التحايا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

تفريغ

خواطر في التزكية والسلوك

الخاطرة التاسعة: مطمئن ومطمئنة

MP3 | 16:00

للشيخ : حارث النظاري

إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

النوع : إصـــدار صـــوتي

المدة : ١٦ دقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ الحلقة العاشرة من سلسلة

خواطر في التزكية والسلوك

(المتوسمون)

للشيخ/ حارث النظاري (حفظه الله)

الصادرة عن مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

ربيع الآخر 1436 هـ – يناير 2015

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك؛ اللهم صلِ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميدٌ مجيد، أما بعد:

قال الله – تبارك وتعالى –: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}، قال مجاهد – رحمه الله –، المتوسمين: المتفرسين، الفراسة، أهل الفراسة.

والفراسة: هي التعرف بدلالات الظاهر، على حقائق الباطن؛ من خلال الظاهر، يعرف باطن الأمر، وهي أنواع:

فراسة لظاهر البدن على باطنه؛ فراسة فقط في البدن، من خلال ظاهره يعرف مافي باطنه، وهذه فراسة الأطباء، وتكسب بالمعرفة؛ يعرف من خلال ظاهر، ما هي علله الباطنة، هذا الأمر الأول، الفراسة بظاهر البدن على باطنه.

الثانية: الفراسة بظاهر الأحوال على خفاياها؛ الأول في الأبدان، والثاني في الأحوال، ليس في الأبدان، وإنما في الأحوال والأحداث وأمور الحياة.

قال ابن القيم – رحمه الله –، عن ابن تيمية: "أنه أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة 699 هـ، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون فيها قتلٌ عام ولا سبيٌ عام، وأن كَلَبَ الجيش وحِدتَه في الأموال؛ وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة".

وقال أيضًا عن ابن تيمية: "أخبر الناس والأمراء سنة 702 هـ، لما تحرك التتار وقصدوا الشام، أن الدائرة والهزيمة عليهم؛ (أي أخبر الناس والأمراء، أن الدائرة والهزيمة على التتار)، وأن الظفر والنصر للمسلمين؛ وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا؛ فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا".

قال ابن القيم: "وسمعته يقول ذلك (أي ابن تيمية)؛ فلما أكثروا عليّ، قلت: لاتكثروا علي (هذا كلام ابن تيمية)، كتب الله – تعالى – في اللوح المحفوظ، أنهم مهزومون في هذه الكرّة، وأن النصر لجيوش الإسلام".

قال ابن القيم: "وأخبرني (أي ابن تيمية) غير مرةٍ، بأمور باطنةٍ تختص بي، مما عزمت عليه ولم ينطقه لساني"؛ هذه الفراسة بظاهر الأحوال على خفاياها، وتكون بالمعرفة، بمعرفة الأمور وتصريف الأحوال، وبمعرفة سنن الله – تبارك وتعالى –، وبمعرفة أحوال وأخلاق الناس.

وإلا كيف عرف ابن تيمية – رحمه الله – هذه الأمور؟! من معرفته بأحوال الأمم، وبسنن الله – تبارك وتعالى –، ولمعرفته بابن القيم تلميذه؛ يعرفه ويعرف أحواله ومداخله، فكان يحدثه بما وقع في نفسه، من غير أن يتكلم ابن القيم، لمعرفة ابن تيمية – رحمه الله –، بتلميذه معرفةً جيدة.

إذًا الأمر الثاني من الفراسة، الفراسة بظاهر الأحوال على خفاياها.

الفراسة الثالثة: فراسة بظاهر الخَلق على حقيقة الخُلُق؛ ينظر في وجه الرجل، فيعرف من وجهه أنه صادق وأنه تقي، أو أنه فاجر، أو أنه ماكر، أو أنه صاحب حيلة، بالتأمل في ظاهره؛ وهذه الفراسة للمؤمن وللكافر، وللطائع والعاصي، وتكتسب بدُربة والخبرة، وهي مما يُتَعلم، أن يتعلم بظاهر الخَلق، ما يدل على حقيقة الخُلق.

الفراسة الرابعة: فراسة بظاهر الخُلق على حقيقة القصد، وهذه أخص؛ لأنها دلالة على الأخلاق، وليست على الأبدان.

الأول: كان معرفة باطن البدن من ظاهره، يتأمل في ظاهر البدن، فيعرف ما في باطنه.

هذه الأخيرة: أن يرى ظاهر الخُلق فيعرفة حقيقة الخُلق؛ بمعنى أن شخص قد يتزين بأخلاق الصالحين، ويتخلق بخُلق أهل التقوى، وهو ليس كذلك، وهو فاجر، أو هو فاسق، أو هو جاسوس، والعياذ بالله؛ وظاهر أخلاقه الصلاح والخير، وظاهر أخلاقه الصدق والأمانة، ولكن حقيقة خُلقه، هي الخيانة والمكر والعداء.

فالفراسة بظاهر الخُلق؛ ينظر في ظاهر هذه الأخلاق، فيعرف أنها ليست أخلاق حقيقية، متمكنة من قلب صاحبها، وإنما صاحبها مدعٍ، وأنه يخفي غير ذلك؛ هذه فراسة بظاهر الخُلق، على حقيقة القصد من هذا الخُلق.

هذه أربعة من أنواع الفراسة: الفراسة بظاهر البدن على باطنه، الفراسة بظاهر الأحوال على خفاياها، الفراسة بظاهر الخَلق على حقيقة الخُلُق، والفراسة بظاهر الخُلق على حقيقة القصد.

النجاة للعبد: أن يتفرس العبد في نفسه، وأن يتأمل في أخلاقه، ومن صحت فراسته في نفسه، صدقت فراسته في غيره؛ أولى بالعبد أن يهتم بالفراسة في نفسه، ويعرف خفاياها وحقيقة أخلاقها، ويعرف طريق الهداية وطريق الضلال، وسبل السلوك للحق، ونيل رضوان الله – تبارك وتعالى –.

ويتفرس في أخلاقه هل هي أخلاق حقيقية؟ ويتفرس في أعمال قلبه، هل هي أعمال مخلَصة لله – تبارك وتعالى –؟

يتفرس في عيوبه، وفي صفاته، وفي أحواله، وفي قصده.

النجاة للعبد: أن يتفرس في نفسه، وأولى له أن يتفرس في نفسه، وفي صفاته وأخلاقه، وفي مكنونات نفسه؛ أولى له وأنفع، من أن يتفرس في غيره.

الفراسة في النفس، ومعرفة مالها وما عليها، سبيل النجاة في الدنيا وفي الأخرة.

أما التفرس في أخلاق الناس: فهي قد تكون سبيل النجاة، في الدنيا من بعض المكروه؛ ولكن النجاة الحقيقية، هي النجاة عند الله – تبارك وتعالى –، والفوز لديه. الفراسة في النفس، الطريق إلى الفراسة الصادقة قال العلماء: "من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بالمراقبة، وظاهره باتباع السنة، وتعود أكل الحلال؛ لم تخطئ فراستُه".

الفراسة في تقوى الله – تبارك وتعالى –؛ ومن اتقى الله، جعل الله لهُ نور، فيتفرس في نفسه وفي خلق الله.

نسأل الله – تبارك وتعالى –، أن يجعلنا من المتوسمين في أنفسهم، المتفرسين في أخلاقهم وعيوبهم، السالكين إلى الله – تبارك وتعالى – سُبل النجاة، آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.